أهمية العلوم الإنسانية ودورها في المجتمع

المكان: طهران

الزمان: 1390/5/18ش. 1432/9/9هـ. 2011/08/10م.

الحضور: حشد من طلبة الجامعات

المناسبة: شهر رمضان المبارك

بسم الله الرحمن الرحيم

أشكر الله تعالى من أعماق قلبي على أن وفقني مرّة أُخرى وفي يوم من أيّام شهر رمضان لأن ألتقي بكم أيّها الشباب الأعزاء المفعمين بالروح المعنوية الطيّبة والاندفاع والنشاط، وأجالسكم لساعات وأستمع إليكم.

أنما قاله الأخوة والأخوات وأبنائي الأعزاء هنا، هو تحديداً ذات الشيء الذي نترقّب أن نسمعه منكم أنتم أيّها الشباب. قد لا يتطابق رأيي مع رأي ذلك المتكلّم الكريم في بعض ما يقول ــ أي إنّني قد لا أستسيغ ذلك الكلام ــ غير أن روح التفكير، والاختيار، والطرح الهادف، هو ما نرتجي أن يتحلّى به الشباب. إنّ الشيء الذي نريده هو أن تفكّروا وأن ترسموا إرادتكم على ركيزة ذلك التفكير، وانطلاقاً من هذه الإرادة تنبثق لديكم الجرأة للتعبير والبيان. إنّ ما تقولونه وتتطلّعون إليه قد لا يتحقّق على المدى القصير، وربّما تتبدّل آراؤكم في برهة أُخرى من الزّمان في ضوء ما تمرّون به من تجارب جديدة. وهذا كلّه محتمل، ولا ضير فيه. لكن هذه النزعة بحد ذاتها، والاندفاع وروح المطالبة، هو ما يحتاج إليه شباب اليوم.

لقد أعددتُ بحثاً وأودّ إلقاءه على مسامعكم، ولكن لابد لي قبل ذلك من عرض بعض الملاحظات حول ما تفضّل به الإخوان. وأوّل ما أُشير إليه هو أنّ الإخوان قد أجادوا الكلام، لاسيما وإنّ بعض كلماتهم كانت من حيث الاستدلال والمنطق رزينة ومهذّبة. فقد دوّنتُ الخطوط العريضة لما تفضّل به السادة والسيّدات الكرام.

دعا أحد الإخوان في كلمته إلى أن أبيّن رأيي حول الانتخابات، ولكنني أرى أن هـذا سـابقاً لأوانه، إذ لديّ كلام حول الانتخابات وسأقوله في المستقبل بإذن الله.

أعلن أحد الإخوان أن لجنة طلابية قد تشكّلت من أجل البحث في الحمائية الاقتصادية، وهـذا عمل رائع طبعاً. ومثل هذه الأعمال الجوهريّة هي ما يحتاج إليها بلدنا. علـيكم أن تفكّـروا، وتدرسوا الأمور وتبحثوا. وهذه البحوث والدراسات حتّى وإن لم تناسب تلك الجهة المسؤولة أو لم تكن مفيدة لها أو لم تحبّذها، فإنّها قطعاً ذات جدوى بالنسبة لكم وتعود عليكم بالفائدة. وهذا عمل لافت جداً.

كذلك أعلن أحد الإخوان عن تأسيس مركز للدراسات في جامعة «شريف» الصـناعيّة، وأنّـه يمارس نشاطه في هذه المجالات. وهذه أعمال بالغة الأهميّة. إن هذا الاندفاع لدى الطالب الجامعي المتوقّد الفكر، له أهمية قصوى لمستقبل البلد.

إنّ الحلول التي عُرضت، بعضها صحيح تماماً. وأقول لكم أيضاً إنّ لدينا معلومات تفيد أن بعض ما طُرح من مقترحات في حقل الشؤون الاقتصاديّة موضوعة نصب أعين المسؤولين، وهم مـا برحوا يتدارسونها، ويتّخذون القرارات بشأنها، ويُقدمون على تنفيذها، ولكن الإجراءات ربّما لا تُعلن كلّها عبر وسائل الإعلام، أو أنه لا ينبغي التحدّث بها. وعلى أيّة حـال فـإن الشـؤون الاقتصاديّة موضع اهتمام المسؤولين.

وأمّا الانتقادات التي وجّهت إلى بعض أجهزة الدولة؛ فلا شك في أن بعض هـذه الانتقـادات صحيحة، وأنا أشارككم الرأي في ما قلتموه، ولكن على صعيد التفكير والتأمّل، قـد يُفكـر الإنسان في أشياء كثيرة، ولكن عند التطبيق العملي يجد أن الأمور ليست بهذه البساطة. وحينما يدخل إلى ميدان العمل تبرز الكثير من المعوّقات التي تقف في طريق الأماني والتطلّعات والرؤى التي يبتغيها الإنسان.

ولهذا ينبغي إزالة المعوّقات أوّلاً؛ بيد أنّه ليس من السهولة اجتياز جميع المعوّقات والموانع. فأحياناً يستغرق هذا وقتاً طويلاً. وهذا مما يتعيّن الالتفات إليه.

في ما يخص قضايا المنطقة، أشار أحد الإخوان إلى أنه لم يحصل ما كان من المفروض أن يحصل من العمل والتحرّك. وأقول لكم على نحو الإجمال إن الأمر ليس كذلك. ففي ما يخص قضايا المنطقة كان ولا زال للأجهزة المعنية في البلد تحرّك جيد جداً. والمنطقة الآن ميدان واسع لاستعراض القوى، والأجهزة المعنية بهذه الأمور تجول في خضمّ الميدان وتعمل بكل نشاط. ومن البديهي أن بعض الأمور ليست ممّا ينبغي نشره في وسائل الإعلام، أو من غير الممكن نشره، أو مما لا ضرورة لنشره، أو هناك إشكال في نشره ــ ولكن على العموم هناك عمل كثير يجري حالياً. وعليكم أن تعوا هذا وتدركوه. وفي هذا المجال كانت الأجواء الداخلية للبلد جيّدة أيضاً. فحضور طلبة الجامعات في مختلف القطاعات وإبداء وجهات النّظر إزاء قضايا المنطقة، وغير ذلك، تُعدّ كلّها من الجوانب الإيجابيّة. وهذا العمل متواصل وسيتّخِذ بإذن الله آفاقاً أوسع وأفضل يوماً بعد آخر. وخلاصة الكلام ينبغي أن لا يُظنُّ بأنه لم يكن هناك عمل، كلا! بل هناك فِعل يجري حالياً، وهناك مهام جيدةٌ قيدَ العمل.

عُرِضت ملاحظة أبدتها هذه السيّدة الكريمة حول العلوم الإنسانيّة، وهي ملاحظة صائبة تماماً. والموضوع الذي طرحته كان مدروساً ودقيقاً. فالقول بأن وراء تقدّم العلوم تقدّم في الفكر، وإن مبدأ تقدّم الشعوب يأتي انطلاقاً من الفكر قبل وأكثر من أن يكون من العِلم والتجربة، قول صحيح تماماً وقد أثبت صوابه.

وهذا هو ما يجعلني أبدي حساسيّة إزاء قضايا العلوم الإنسانيّة. نحن لا ندعو أبداً إلى الامتناع عن تعلّم معلومات الغربيين التي توصّلوا إليها في مختلف مجالات العلوم الإنسانيّة وما أحرزوه من تقدّم على مدى عدّة قرون، أو أن نُعرض عن قراءة كتبهم. وإنّما ندعو إلى عدم التقليد. وهذه الملاحظة قد طرحتها هذه السيّدة في كلامها، وهي ملاحظة صحيحة.

تستقي مبادئ العلوم الإنسانيّة في الغرب منطلقاتها من الأفكار المادّية. وكل من قرأ تاريخ عصر النهضة، واطلع عليه، وعرف أعلامه، يدرك هذه الحقيقة بكل وضوح. فلقد كانت حركة النهضة منطلقاً لتحوّلات شتّى في الغرب، بيدَ أن منطلقاتنا الفكريّة تختلف عن تلك المنطلقات. ولا عيب أبداً في الاستفادة مما توصّل إليه الغرب وما أنتجه أو طوّره في علم النّفس، وعلم الاجتماع، والفلسفة وعلوم الاتصالات وكل فروع العلوم الإنسانيّة. وقد قلت مراراً إنّنا لا نشعر أبداً بالهوان والصغار من التعلّم، ولا بدّ لنا أن نتعلّم؛ نتعلّم من الغرب أو من الشرق

«اطلبوا العلم ولو بالصّين»(1) وهذا أمر واضح بلا شك، ولكن نشعر بالهوان فيما لو كان هذا التعلّم لا ينتهي بنا إلى المعرفة والوعي والقدرة على التفكير. فلا يجدر بالمرء أن يبقى تلميذاً طيلة عمره؛ ونحن نتعلّم لكي نغدو أساتذة. والغربيون لا يروق لهم هذا. وعلى هذا المنوال كانت السياسة الاستعماريّة للغرب منذ القديم. يريدون أن تكون هناك فوارق في العالم، وأن تكون هناك هويّتان، وأن تكون هناك درجتان في القضايا العلميّة.

من العلوم الإنسانيّة، التاريخ. وأدعو مرّة أُخرى إلى أن تقرأوا التاريخ. إقرأوا تاريخ العهد الاستعماري؛ فالغربيون على الرغم من ظهورهم بالملابس الجديدة المكويّة واستعمال القلونيا، وما يبدون عليه من مظهر منظم ومرتب، وما يدعون إليه من شعارات حقوق الإنسان، ارتكبوا ما لا مثيل له من الأعمال الوحشيّة الفظيعة. فليس دأبهم قتل النّاس فقط، وإنّما بذلوا جهوداً كثيرة من أجل إبقاء الشعوب الرازحة تحت سلطتهم الاستعماريّة، بعيدة عن ميدان التقدّم وإمكان التقدّم في جميع المجالات. ونحن نريد أن لا يقع هذا.

نحن ندعو إلى تعلّم العلوم الإنسانيّة لكي نستطيع إنتاج النمط الوطني والمحلّي منها بأنفسنا، ونشره في العالم. وإذا ما حصل هذا فإن أي شخص يخرج من حدودنا يكون موضع أملنا ومعتمدنا. وعلى هذا الأساس ندعو إلى أن لا نكون مقلّدين في هذه العلوم. هذا هو رأينا في مجال العلوم الإنسانيّة.

أشار أحد الإخوان إلى أن أمير المؤمنين (ع) دعا في عهده لمالك الأشتر إلى فضح المفسدين. وأنت تدعو إلى عدم فضحهم. إن أمير المؤمنين (ع) لم يدع إلى فضح ما لم يثبت من القضايا. إذ لا يوجد مثل هذا الشيء أبداً في كلام أمير المؤمنين.

من المؤكّد أن هذا ليس من الإسلام. وكيف يجوز لنا أن نفضح ما لم يثبت، وما كان مجرّد اتّهام؟ قد يكون حكم الاتّهام كبيراً صاخباً ومداه واسعاً بحيث يبدو في نظر البعض وكأنّه أمر قطعي ومؤكّد، ولكنه في واقع الحال لا يستند إلى أيّة أدلّة ولم يثبت قط. ومثل هذه الحالة لا حجّة لدينا لإفشائه وفضحه. وحتّى في تلك الجلسة التي أُشير إليها، قلت ما هو فوق ذلك؛ قلتُ: إن الأصل هو عدم فضح الجرم حتّى لو ثبت. فالشخص الذي ارتكبه هو بالنتيجة مجرم وارتكب خطأً وينال جزاءه. ولكن أسرته، وأولاده، ووالديه لا ذنب لهم، فلماذا نفضحهم من غير داع؟ إلا عندما

تكون في نفس إذاعة القضية وفضحها مصلحة كبيرة. في مثل هذه الحالة حينما يكون في إفشاء قضيةٍ ثابتة مصلحة، فهنا لا مؤاخذة في فضحها والكشف عنها. هذا هو منطقنا. ولا يوجد ما يخالف هذا، لا عن أمير المؤمنين (ع) ولا عن أي من أئمّة الهدى (عليهم السلام). فنحن لا يحقّ لنا توجيه التهم إلى الأفراد وفضحهم لمجرّد الظنون. وهذا غير جائز لا على المواقع الالكترونية، ولا في الصحف، ولا على منصّات الخطابة. بل ينبغي صيانة كرامة الأفراد.

في ما يخص تنفيذ سياسات المادّة **44**، سألوني عن رأيي فيها، وهل طُبّقت أم لا؟ لو أردنا التحدّث حول ذلك مفصلاً فهذا غير ممكن. فكل واحدة من هذه الفصول والأبواب يتطلّب شرحاً. ولكن يمكن القول إجمالاً إن أعمالاً لا يُستهان بها قد أنجزت، وهي بطبيعة الحال ليست كاملة بمعنى الكلمة أو تبعث على الرضا. كلا، بل تكتنفها نواقص. ولكن هناك حركة وانجاز. ثمّ إن المسؤولين الحكوميين يواصلون تقديم التقارير عن تقدّم العمل. وينبغي النظر إلى هذه التقارير بحسن ظن. أي لا ينبغي التأسيس على أن كل ما يقوله المسؤولون كذب وافتراء ومغاير للواقع. كلا، فهم يعرضون تقارير العمل. ويجب أن نضع بعين الاعتبار أن هذه التقارير صحيحة، وإن كان من المحتمل أن يشوبها نوع من المبالغة وتجاهل الجوانب السلبية. ولكنها صحيحة غالباً. وعلى أيّة حال، هناك نواقص، ولكن هناك أيضاً خطوات قد أُنجزت.

أمّا في ما يخصّ تطوير المجلس الأعلى للثورة الثقافية، فقد قمنا بما ينبغي علينا القيام به. ولكن ترتيبات الاستفادة من المجلس الأعلى للثورة الثقافيّة ترتيبات خاصّة. أوّلاً هناك بَوْن شاسع بين ما يتطلّع الإنسان إليه وبين ما يجري على أرض الواقع؛ غير أن تدابير مدروسة قد اتّخذت وسوف يستطيع هذا المجلس بإذن الله أن يعكس معطياته على نحو أفضل.

قد قال أحد الشبّان الأعزاء: لو أراد الجيل الجديد أن يتصدى للمناصب، فعليه أن ينزل إلى الميدان بنفسه. وأنا بطبيعة الحال أؤيّد هذا الكلام وأقول إنه يجب أن ينزل إلى الميدان بنفسه. ولكن نزوله إلى الميدان بأي معنى؟ عليه أن يكتسب الأهلية لهذه المهمّة؛ أي الأهلية العلميّة، والأهلية العمليّة، وأهلية النزول إلى الميدان. هناك بعض قد مارس نشاطاً علميّاً ويدخل في عداد العُلماء، إلا أنه لا يحبّذ المتاعب ولا يودّ الدخول في المجالات التنفيذيّة. ولكن لو أراد أحد أن يتصدى لمناصب في البلاد ويعتبر ذلك أمراً مهمّاً بالنسبة إليه، وليس الخدمة ــ لأن الخدمة تنطبق على ما هو أشمل من التصدي للمناصب، بل إن التصدي للمناصب نوع من أنواع الخدمة وهي

بطبيعة الحال أكثر تأثيراً وشمولية ــ وهذه الأمور تتطلّب مؤهلات أيضاً. ولا بدّ من المؤهلات العلميّة، والمؤهلات العمليّة. كما أنها تتطلّب توفّر الحافز للدخول إلى الميدان.

حينما يسير الشخص على الرصيف أو في الأماكن المزدحمة، يصطدم به الآخرون ويصطدم بهم. وهذا أمر طبيعي. وإذا أراد المرء أن لا يصدمه أحد ولا يصدم أحداً، عليه أن يجلس في داره. ويمكنه طبعاً أن يجلس في داره أو يعتزل النّاس في زاوية ويؤدّي في الوقت ذاته عملاً مفيداً. ولكن إذا دخل الشخص إلى معترك الحياة الاجتماعيّة ــ سواء في المجال السياسي، أو في مختلف المجالات الإدارية ــ فلا بدّ من وجود هذا التصادم.

تلاحظون حالياً أنكم ثلّة من الشبّان الأعزاء من ذوي القلوب الطاهرة والنفوس الطيّبة، تقفون هنا وتطلقون سيلاً من الانتقادات لكلّ شيء، ولا يعترض عليكم أحد. أنا هنا لأستمع لكم، وأثني على ما تقومون به؛ ليس ثناءً باللسان، وإنّما أثني عليكم من أعماق قلبي. ثمّ هؤلاء الذين تنتقدونهم، تتصورون من هم؟ هم أولئك الشبّان الصالحون الذين كدّوا في ما مضى وكدحوا وتحمّلوا المشاق، وجاهدوا ثم تسلّموا اليوم بعض المناصب، ويقومون اليوم ببعض المسؤوليات. ومن المحتمل طبعاً أن يكون في عملهم خطأ، وقد يكون انتقادكم في موضعه. هذه هي طبيعة الإدارة. وأنتم حين تتسلمون مسؤولية ينطبق عليكم الأمر تماماً؛ إذ سيأتي شاب ويقف هنا ويوجّه إليكم الانتقادات.

أنتم تطرحون اليوم انتقاداً تقولون فيه: لماذا المدير كهل ومستشاره شاب. وتقولون ينبغي أن يكون المدير شاب ومستشاره كهل، ولكن هناك من يأتي ويقدّم شكوى حول هؤلاء المستشارين الشباب، وينتقدهم، ويقول إن هذا المستشار الشاب في الوزارة الفلانية فعل كذا وكذا؛ في حين أن هذا المستشار الشاب، هو طالب جامعي شاب؛ كأن يكون طالباً في مرحلة الماجستير أو في مرحلة الدكتوراه، أو تخرّج حديثاً ولم يقترف ذنباً، إلا أنه يُنتقد. حسناً، لابد من توفير هكذا دوافع. وعلى الشخص أن يوفر لنفسه مثل هذا الاستعدادات والمؤهلات، ويتّصف بهذه الأهلية، ليدخل إلى الميدان، ومن المؤكد أنه يحصل على مسؤولية.

أحد الإخوان الذين تكلّموا هنا بكلام حسن جداً، قال في بداية كلامه: إنّنا نعمل حالياً على نحو كي يعلموا أنه لا زال هناك أُناس مخلصون. وأنا أدعو إلى عدم استعمال عبارة «لا يزال» لأن

كلمة لا يزال تعني أنكم تتوقعون أن لا يكون هناك أُناس مخلصون. كلا، ليس هناك مثل هـــذا التوقّع. إن ما نرتجيه وما نتوقّعه في ما يخصّ قضية الثورة أسمى من هذا الكلام بكثير. فلا تقولوا إنه ما زال هناك مخلصون. نعم إن خضم الشعب هو خضم الثورة. والكلام الذي سأتحدّث به هنا يدور قسم منه حول هذه القضية.

وهذه المبادرة الطلابيّة للاعمار رائعة جدّاً وضروريّة جدّاً، وعمل حسن جدّاً.

أودّ هنا أن أتحدّث حول بعض الأمور. إن القضايا التي تكلم حولها الإخوان قد دوّنت ملخّصها لكي تبقى في ذاكرتي. ولكن تفاصيلها ستحفظ ويتم بحثها ومتابعتها. ولا ينبغي أن يظن أحد بأنها ستُهمل. كلا، بل ستكون إما موضع تركيز واهتمام خاص وسيجري العمل عليها، أو إنها على الأقل ستساعد على زيادة التجارب وتراكم الخبرات والمعلومات. أي إن أياً من هذه الكلمات والآراء لن تذهب سدىً.

إن ما أريد قوله هنا يمثّل في الحقيقة منطلقاً لبحثٍ، وهذا البحث سوف تتابعونه أنتم الشـــباب بإذن الله في أوساطكم. لقد أشرت خلال الأشهر الست أو السبعة المنصرمة في عدّة خطابات إلى استقرار النظام، وقلت إن ديمومة واستقرار واستمرار نظام الجمهورية الإسلاميّة كان من أهـــم العوامل التي غرست الأمل في نفوس شعوب المنطقة والشعوب الإسلاميّة. ويمكن القول إنه كان له دور مؤثر في هذه الحركة الإسلاميّة العاتية التي اجتاحت المنطقة، ورفدها بمنطلقات التحـــرّر واليقظة. واليوم أريد التحدّث بشيء من التفصيل حول ثبات واســـتمرار واســـتقرار الثـــورة الإسلاميّة.

يمرّ المجتمع بتحوّلات كبرى وأبرز الأمثلة عليها هي الثورات السياسية والاجتماعية. ولكن مَـــن الذي يُحدث مثل هذا التحوّل؟ يُحدِثه طبعاً جيل من أجيال الشعب؛ غير أن هذا يُعزى طبعاً إلى الظروف التي مرّ بها ذلك الجيل، ولم يمر بها الجيل السابق له ولا الأجيال الأُخرى التي ســـبقته، كما هو الحال بالنسبة إلى الثورة الإسلاميّة. وهنا لا يخلو الأمر من حالين تحصل واحـــدة مـــن حالتين: إمّا أن تواصل الأجيال التالية ذلك التحوّل الذي أحدثه ذلك الجيل، وتكمل المشـــوار وتديم المسيرة. وفي هذه الحالة يصبح هذا الحدث حدثاً خالداً؛ «وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ»(2). أي يغدو بديلاً ويُكتب له الاستمرار. وإمّا أن لا تواصل الأجيال التاليـــة تلـــك

المسيرة لأسباب وعوامل شتّى ــ وعندما نقول الجيل التالي لا نقصد بالضرورة الفئة التي تليه في السن، وإنّما نقصد الذين يتلقّون من ذلك الجيل الأوّل، وربّما يكونوا هم والجيل الأول بنفس الفئة العمرية ــ ويلفّهم الخمول لعوامل شتى ويكلكل عليهم الركود والانحراف والانزواء. وفي هذه الحالة يُعدم الشعب فوائد ذلك التحوّل، بينما تبقى الأضرار التي ترافق عادة كل تحوّل ويتعذّر درؤها. هذه هي خلاصة القضية.

مهما أجلْتُ النظر في التحوّلات الحاصلة على مدى القرون الثلاثة الماضية، وهي قرون الثورات الكبرى ــ وأنتم أيضاً ادرسوا هذه التحوّلات فلعلكم تجدون بعض الحالات ــ يكون فيها استمرار لذلك التحول الذي حصل في الدور الأوّل وتواصل في الأدوار التالية أو في العقود اللاحقة على تلك الوتيرة ذاتها، حاملاً راية الأهداف ذاتها ومنطلقاً نحو تلك الغايات وبذات التوجّهات. وربّما لم تتواصل أصلاً كالثورة السوفيتية، أو تواصل واستمر ولكن على مدى فواصل زمنية طويلة رافقتها محن ومصاعب ووقائع مريرة، كالثورة الفرنسية الكبرى، وكاستقلال أمريكا. ونحن نعبّر عن ذلك بكلمة الثورة أو أي شيء آخر. فإنّ تلك الأهداف الأولية قد تحققت بنحو أو بآخر، ولكن بكثير من المشقّة والعناء، أو بعد مدّة مديدة. ومثال ذلك الثورة الفرنسية الكبرى. وتوصف الثورة الفرنسية بالكبرى لأنها أعقبت تلك الثورة ثورتان أو ثلاث ثورات أُخرى وقعت في فرنسا على مدى خمسين أو ستّين سنة؛ بيدّ أن تلك الثورة الأولى التي وقعت في عام **1789** كانت هي الأهم والأكثر تأثيراً ــ ولكي يبقى هذا التاريخ في أذهانكم فهو: ألف ثمّ بعده سبعة، وثمانية، وتسعة! هذا هو العام الذي وقعت فيه الثورة الفرنسية الكبرى ضد الحكم الملكي هناك. وهذا هو ذات الوضع الذي حصل في إيران؛ إلا أن الأسرة الملكية التي كانت تحكم في فرنسا بالطبع كانت أشدّ قوّة وأكثر رسوخاً وتجذراً من الأسرة البهلوية المتردّية التي كانت تحكمُ بلدنا! كانوا من أسرة آل البوربون التي حكمت فرنسا على مدى عدّة قرون. وكان من بينهم ملوك من هذه السلالة ذوي سطوة وشوكة. لقد وقعت هذه الثورة في العام الذي ذكرته لكم، أي **1789** الميلادي.

حسناً، كانت هذه الثورة شعبيّة بمعنى الكلمة؛ أي كان للشعب حضور فيها حقّاً ــ كما هو الحال في ثورتنا ــ وكان القادةُ قادةً شعبيين تماماً وكانوا يحملون أفكاراً نيّرة ويتطلّعون إلى بناء مجتمع جماهيري. والشيء الذي كانوا يطمحون به لم يكن أيديولوجيا ولا عقائديّاً، وإنّما كانوا

يرومون إقامة حكومة شعبية، وكانوا يرومون تأسيس حكم شعبي. وبعد ذلك العام بـــثلاث أو أربع سنوات أزيحت المجموعة الأولى التي قامت بالثورة، على يد فئة موغلـــة في التطـــرّف؛ وتم إعدام بعض منهم. ثمّ إن هذه الفئة المتطرّفة سيطرت على الحكم. وبقيت في الحكم مدّة تنـــاهز الخمس سنوات. ونتيجة للصرامة التي اتّبعوها مع أبناء الشّعب، هبّ الشعب كردّ فعل علـــى ذلك وعزلهم عن الحكم، وأُعدِم قسم منهم؛ وهكذا سيطرت على دفّة الحكم فئـــة ثالثـــة. أي خلال مدّة تتراوح بين إحدى عشرة سنة إلى اثنتي عشرة سنة؛ حتّى عام **1800**، سيطر علـــى الحكم ثلاث جماعات؛ وكانت كلّ جماعة منها تنكّل بالجماعة التي سبقتها وتقضي عليها. وعلى امتداد الإحدى عشرة سنة الأولى أُعدِمَت شخصيّات سياسيّة معروفة من الجماعات الثورية. ثمّ إن تلك الفوضى التي استفحلت ــ ومن الطبيعي أن تستفحل الفوضى في بلد يتّصف بمثل هذه الخصوصيّات والظروف ــ أرهقت أبناء الشعب؛ إلى أن تشكلت لجنة من ثلاثة أشخاص وكان نابليون أحدهم. كان نابليون حينها ضابطاً شاباً وكانت له فتوحات في مصر ــ وقصصه كثيرة وطويلة ــ أكسبته شهرة مهّدت له رئاسة هذه اللجنة المؤلّفة من ثلاثة أفراد، ثمّ أصبح بعد ذلك ملكاً وإمبراطوراً. وذلك البلد الذي مُني بكل هذه الخسائر، وأسقط النظام الملكي، وأعدم لويس السادس عشر وزوجته، دخل تحت مظلّة الحكم الملكي مرّة أُخرى، واستولى نابليون على مقاليد الحكم. كان نابليون شخصية عسكرية قويّة ونشطة وقدّم لفرنسا أعمالاً كبرى، وله إنجازات غير عسكرية أيضاً، إلا أن معظم أعماله كانت عسكرية؛ حيث إنه ضمّ إلى فرنسا عدّة بلدان أوربية وهي ايطاليا وإسبانيا وسويسرا. وغزا عدّة بلدان أوربية وضمّها إلى فرنسا أيضاً، ولكن من بعد خلع نابليون انفصلت تلك البلدان عن فرنسا الواحدة تلو الأُخرى؛ بمعنى أن تلك الفتوحـــات كانت غير مستقرة. إنّ ذلك البلد الذي قدّم كل تلك الخسائر وأقام حكومة شعبية، تحوّل بكل سهولة إلى الحكم الملكي مرّة أُخرى. وفي أعقاب نفي نابليون ووفاته ــ أي ما يقـــارب عـــام **1815** ــ سيطرت على حكم فرنسا حكومة ملكية استمرت مدّة تناهز الخمسين سنة، حيـــث رافقتها تحوّلات بالغة الصعوبة والمرارة ومثيرة للأسى. ولو قرأتم ما كُتب في فرنسا من كتـــب وروايات في القرن التاسع عشر، لوجدتم فيها بكل وضوح معالم هذه الثـــورات وهـــذه المحـــن والوقائع المريرة التي ألّمت بالشعب الفرنسي؛ ومن هذه الكتب كتب فيكتور هوغـــو وبلـــزاك وغيرهما.

وبعد ذلك؛ أي في عام ألف وثمانمائة وستين ونيّف، وقعت ثورة أُخرى هناك وخُلع الإمبراطـــور نابليون الثالث ـــ الذي كان من أقارب نابليون ـــ وأُقيم حكم جمهوري. حيث تغـــيرت هـــذه الجمهوريات أيضاً وأصبحت الجمهورية الأولى، وتلتها الجمهورية الثانية، ثمّ الجمهورية الثالثة، إلى أن وصلت إلى الوضع الذي أصبحت عليه دولة فرنسا الآن، حيث تحكـــم هنـــاك حكومـــة ديمقراطية. لقد واجهت الثورة الفرنسية هذه الوقائع المريرة. وهو ما يعني أنها منذ انطلاقهـــا لم تكن ذات قدرة تأهّلها لتتبوّأ مكانتها بين أبناء شعبها ويكتب لها الدوام والاستمرارية. وهـــذه الظواهر والوقائع اكتنفت تقريباً جميع التحوّلات التي وقعت على امتداد هذه الحقبة الطويلة التي استغرقت مائتي سنة ومائة وخمسين سنة ومائة سنة في عالمنا هذا.

لقد وقع ما يماثل هذا في أمريكا أيضاً. فالثورة الأمريكية ـــ بمعنى تحرير أمريكا من تسلّط الحكم البريطاني ـــ وقعت قبل الثورة الفرنسية بخمس أو ست سنوات؛ أي في حدود عام **1782**. طبعاً لم يكن عدد نفوس أمريكا يومذاك يتعدّى الخمسة ملايين نسمة. ونهض الشعب يومهـــا وأقـــام حكومة وجاءت إلى الحكم شخصيات ومن تلك الشخصيات المعروفة أمثال جورج واشـــنطن وغيره. بيد أن الأمور هناك سارت على ذات المنوال أيضاً. فبعدما قاموا بتلك النهضـــة الأولى كابد الشعب الأمريكي الويلات، واندلعت هناك حروب أهلية تشير إلى الدهشة والاستغراب. ففي واحدة من الحروب الأهلية ـــ حيث كانت أعظم الحروب الأهلية تلك التي نشـــبت بـــين الشمال والجنوب؛ أي إن رحى تلك الحرب قد دارت في الواقع بين الشمال الشرقي والجنوب الشرقي؛ لأن غرب أمريكا قد أصبح تواً تحت سلطة هذه الدولة ـــ قُتل مليون شخص على أدنى تقدير على مدى أربع سنوات. وطبعاً لم تكن هناك إحصائيات في ذلك الوقت، وإنّما هذا قول من كتبوا ومن تحدّثوا حول تلك الحروب. وبعد ذلك وعلى نحو تدريجي وبعد مضي مائة ســـنة تقريباً على استقلال أمريكا وصلت الحكومة إلى نوع من الاستقرار، واستطاعت مواصلة مسيرها في نطاق التوجّهات السابقة.

إن الجنايات التي وقعت في تلك الأثناء والفجائع التي ارتكبها الحكّام وأنصارهم وجيوشهم، لها قصص مأساوية طويلة، فكان منها الاعتداء على الدول المجاورة، وشن الهجمات على الســـكّان الأصليين وهم الهنود الحمر وإبادتهم. إنه ليؤسفني أن شبابنا لا يعلمون هذه القضايا. حين يطلع الإنسان على المدنيّة والتقدّم والثروة الموجودة لدى بعض الدول، إنّما هي حصيلة لكـــثير مـــن

التدمير، ويدرك أنها جاءت حصيلة لما لا يُعرف مداه من التدمير والقسوة والقهر، ينفتح عندئذ أمامه أُفق آخر من الرؤية إزاء ما ينبغي أن يحصل، وإزاء الواجب الذي يقع على كاهله.

أمّا في الاتحاد السوفيتي فقد حصلت قضايا ووقائع من نوع آخر. ففي الاتحاد السوفيتي لم تتحقّق الأهداف المرسومة ــ حيث كانت أهدافاً عقائديّة وأيديولوجية ــ فقد ادعي بأن حكومة الاتحاد السوفيتي حكومة شعبية، حكومة جماهيرية، واشتراكية؛ وحكومة جماهيرية شعبية تستند إلى حركة الشعب وتلتزم بمتطلّباته، غير أن هذا الهدف نُقض منذ السنوات الأولى. وبعد مضي ما يقارب ستّ سنوات من وقوع الثورة السوفيتية في عام **1917**، تبدّل الحال تماماً وأُسقِط الشعب من حسابات الحكومة بالمعنى الحقيقي للكلمة. وتركّزت السلطة في يد حزب شيوعي يتألّف من بضعة ملايين من الأعضاء. وسيطر على هذا الحزب مجموعة من الأفراد بقيت على رأس قيادته في كلّ دورة. وفي دورة مثل دورة "ستالين" كان الحاكم شخصاً واحداً لا أكثر. وأمّا في الأدوار التالية فقد كانت اللّجنة المركزية للحزب الشيوعي هي الكل في الكل. وما أكثر الضغوط التي تعرّض لها الشعب، وما أشد القيود التي فُرضت عليه، وما أفضع المحن التي قاساها. في تلك الأدوار تسرّبت كتابات من داخل الاتحاد السوفيتي إلى العالم الخارجي، وكان قسم منها يُترجم إلى اللغة الفارسية وكُنّا نقرأه. وإلى ما قبل انهيار الاتحاد السوفيتي كان الكثير من هذه الجوانب الصعبة والمرّة طي الكتمان، ولكن من بعد ذلك انكشف الكثير من الأمور، وعُرف مدى فضاعة ما كانوا يفعلونه، وما أشد القيود التي كانت تفرض على الشعب، والكتابات الأدبية التي نُشرت تعكس مدى صعوبة حياة الشعب في عهد الحكم السوفيتي. أي إن تلك الثورة قد انحرفت كليّاً منذ البداية لا إنها لم تواصل نهجها بل لم تفِ بوعودها أساساً.

حسناً، هذا عن الثورات. ولنأت الآن على ذكر أشباه الثورات ومنها التي وقعت في الشرق الأوسط وخاصّة في شمال أفريقيا وأمريكا اللاتينية، حيث إنها في الواقع لم تكن ثورات، وإنّما كان معظمها انقلابات. ففي أواخر الخمسينات وأوائل الستّينات وقعت في بلدان شمال أفريقيا ــ أعني مصر وليبيا والسودان وتونس ــ حركات ثورية ذات اتجاه يساري. فكانت كل هذه البلدان بلداناً ثورية.

لكن انحرف الذين قادوا هذه الثورات عن مسار الثورة إلاّ عدد معدود، فالثورات ذاتها كانت ثورات يسارية، ومناهضة لأمريكا، ومناهضة لبريطانيا أو مناهضة لفرنسا. هكذا استقطبوا

الشعب إلى الساحة، إلا أن الذين كانوا على رأس تلك الثورات انحرفوا في الواقع العملي عن مسارها، وانحدروا صوب تلك القوى الاستعماريّة! وكان منهم بورقيبة في تونس، لقد كان بورقيبة قائداً للثورة التونسية؛ بل إنه هو الذي صنع الثورة التونسيّة؛ غير أنه تحوّل إلى عنصر عميل للغرب ولفرنسا. ومن بعده جاء بن علي على نفس نهجه أيضاً. أو في مصر، كان أنور السّادات من أنصار جمال عبد الناصر، وكان ممن ساهموا في صنع ذلك الانقلاب أو حسب تعبيرهم ثورة الضباط الأحرار. لقد كان شعار حركة الضباط الأحرار في زمان جمال عبد الناصر هو «تحرير فلسطين»، إلا أن الحال وصل بهم إلى حدّ الصلح مع غاصبي فلسطين، والتآمر ضد الشعب الفلسطيني. وفي الآونة الأخيرة وصلت الأمور إلى حدِّ التعاون مع الصهاينة لمحاصرة الشعب الفلسطيني، وفرض الحصار على غزّة من أجل القضاء على الشعب الفلسطيني! أي إنهم غيّروا اتجاه حركتهم مائة وثمانين درجة عن الاتجاه الأوّل للحركة.

وأمّا بالنسبة إلى السودان. أعتقد أنكم لا تتذكرون شيئاً عن النميري. نحن نتذكّر مجيء النميري إلى سدّة الحكم. كان النميري ضابطاً ثورياً وكان هو الذي خلّص السودان من براثن الغرب، إلا أن هذا النميري تحوّل تدريجياً نحو الغرب حتّى غدا عميلاً للغرب؛ حتّى إن الثوريين اللاحقين الذين يحكمون السودان اليوم ثاروا عليه وانتزعوا البلد من يده. لقد تحوّل جعفر النميري تدريجياً من شخص مناهض للغرب ويقود انقلاباً ضد الحكم الموالي للغرب، إلى عنصر مطيع للغرب وعميل للغرب! وهكذا الحال بالنسبة للآخرين.

أتذكّر إنّنا كُنّا في بداية السبعينات في مدينة مشهد المقدّسة، وكُنّا نلتقط إذاعة صوت العرب من القاهرة ــ في زمان جمال عبد الناصر ــ ونستمع إليها. كان جمال عبد الناصر قد ذهب إلى ليبيا، وأخذ هو والقذافي ــ الذي كان في حينها شاباً في التاسعة والعشرين من عمره وكان قد قاد انقلاباً عسكرياً ــ وجعفر النميري، يخطبون ثلاثتهم في إذاعة صوت العرب من مصر. اجتمع هؤلاء الثلاثة سويّة وأخذوا يطلقون الخطابات الثورية والحادّة. كان هذا القذافي نفسه يُطلق شعارات كانت تثير فينا الحماس. وكُنّا نحن غالباً في معترك مواجهة النظام. وكان الاستماع إلى هذه الإذاعة مخالفاً للقانون. وكُنّا نحن وبعض الأصدقاء ــ حيث كان لدى أحدنا مذياع ــ نذهب ليلاً ونجلس في دار ونستمع إلى إذاعة صوت العرب.

نعم، هكذا كانت الحركات. أي إن الثورات ولعوامل شتّى كانت تنحرف منذ البداية، أو بعد مدّة وجيزة. وهذا الانحراف قد يستغرق أحياناً عشرات السنوات. ففي بلد مثل فرنسا استمر هذا الانحراف سبعين سنة ونيّفاً، إلى أن استطاعت الثورة أن تحقّق تدريجياً قسماً من أهدافها، لا كلّ أهدافها.

إنّ الثورة الإسلاميّة أمر استثنائي من بين كل هذه الثورات. فالثورة الإسلاميّة كانت حركة انبثقت بأهداف محددة ــ رغم أن تلك الأهداف كانت محدّدة، لكنّ بعض مفاصلها كانت عامّة وكليّة، ثم تجزأت وتبلورت تدريجياً، واتّضحت، وتبيّنت مصاديقها. فالأهداف كانت أهدافاً واضحة ــ كان هدفها المناداة بالإسلام، وهدفها مقارعة الاستكبار، وهدفها حفظ استقلال البلد، وهدفها كرامة الإنسان، وهدفها الدفاع عن المظلوم، وهدفها التقدّم والارتقاء العلمي والتقني والاقتصادي للبلد. كانت هذه هي أهداف الثورة. عندما ينظر الإنسان في كلمات الإمام الخميني (رضوان الله عليه) وفي الوثائق الأصلية للثورة ــ يلاحظ أنها كلّها ذات منطلقات مستمدّة من النصوص الإسلاميّة. إن شعبية الثورة والتعويل على إيمان الشعب، ومعتقدات الشعب، والمنطلقات الجماهيرية، والمشاعر الجماهيرية، تُعدَّ من المرتكزات الأساسيّة للثورة. وقد استمرّ هذا النهج ولم يحصل فيه أي انحراف ولا ميل، بعد أن مضى اليوم على الثورة إثنان وثلاثون عاماً. هذا شيء في غاية الأهميّة.

وهذا هو ما نسمّيه استقرار الثورة وثبات نهجها. لقد قلنا قولاً: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا» (3).. فقد قال الشعب الإيراني «ربنا الله»، وتمسّك بقوله وثبت عنده، وانتقل من جيل إلى آخر. وهذه الكلمات الجذابة والنابضة والصادقة والمليئة بالحيوية التي طرحتموها اليوم هنا أنتم يا أيّها الشباب، واحتمل أن لا يكون أي منكم قد أدرك بداية الثورة، ولم يعيش عهد الثورة، ولا زمان الحرب، ولم تدركوا زمان الإمام الخميني، بيد أن النهج هو ذات النهج، والطريق هو الطريق نفسه، والهدف هو الهدف ذاته. والكلام الذي يُقال هنا هو ذات الكلام الذي كُنّا نريد قوله يومذاك وكُنّا نقوله. كنت أأتي إلى جامعة طهران مرّة في كلّ أسبوع وكانت لنا جلسة مع الطلاب ونصلي هناك، وبعد الفراغ من الصلاة كانت هناك كلمة وردود على الأسئلة. وقد استمر هذا الوضع مدّة مديدة. وهو ذات الكلام الذي كُنّا نقوله في ذلك الوقت، وكان يقوله الطلبة. ولكنّه اليوم كلام أنضج وأرزن وأوزن. وأمّا المشاعر فهي اليوم على قدر ما

كانت عليه يومذاك. والكلام الذي يُطرح في الأوساط الطلابيّة اليوم يتّصف بعقلانية تفوق مـــا كان في ذلك الزّمان. وهذا شيء ذو قيمة طبعاً.

حسناً، لقد تحقّق هذا حتّى الآن. ولكن ماذا عن الآن فصاعداً؟ إن ما أُريد قوله هو هذه الجملة: من الآن فصاعداً يتعيّن على جيل الشباب الحالي وخاصّة الشريحة الطلابيّة الحفاظ علـــى هـــذا النهج في ذلك الاتجاه الذي كان عليه، والاستمرار عليه والسير فيه قدماً نحو مزيد من التكامل. وهذا ما يعيّن المهام التي ينبغي علينا إنجازها في الأوساط الطلابيّة.

إن العمل يقع على كاهلكم. فالجيل الذي كُنّا نمارس نشاطنا في وسطه، وكانت لدينا طاقة شبابية وأنفقنا شبابنا على هذا الطريق، هذا الجيل آخذ اليوم بالاضمحلال، ويسير ــ مثلما هو حـــال كلّ الأشياء في هذا العالم ــ نحو الفناء والزوال. إن الجيل الذي يستوعب هذه الحقيقة اليوم، هو أنتم، شباب اليوم وطلبة اليوم. إنَّ مسؤوليات البلد ستقع على كواهلكم في المستقبل. وأنـــتم الذين ستخططون لهذا البلد وتتخذون القرارات. فأنتم تستطيعون مواصلة هذا الطريق، والعمل على تكامله، وتستثمرون الطاقات التي لم تُستثمر، وتملأون مواطن الفراغ، وتسدّون النـــواقص التي تشيرون إليها وتقولون وتكيلون لها الانتقادات تلو الانتقادات ــ وهي انتقادات صـــحيحة طبعاً ــ أو تستطيعون أن لا تفعلوا ذلك. جيل الشباب اليوم يستطيع أن يتّخذ قراراً بعدم فعل أي شيء. ولكن مثل هذا القرار لن يتّخذ طبعاً وأنا لا أشك في ذلك. فجيل الشـــباب ســـوف يواصل هذا الطريق لأجل المنطلقات الدينية لهذه الحركة وما لها من مرتكزات اعتقاديّة راسخة. فهذه هي المرّة الأولى في تاريخ الثورات المختلفة في العالم، تأتي فيها ثورة وتقدّم نفسها إلى العالم، وتواصل ــ من غير انقطاع ــ مبادئها الأولى وقيمها الأولى بكل وجودها، وسوف يستمرّ ذلك بإذن الله إلى أن تتحقّق أهدافها النهائية.

حسناً، أنتم تمثلون التنظيمات الطلابيّة والنخبة الطلابيّة. وأنتم في الواقع تمثّلون المجموعة المنتقاة من بين ملايين الطلبة الجامعيين في البلاد. وقد اجتمعتم هنا. وهذا الكلام يمكن لبقية الطـــلاب الاستماع إليه لاحقاً إذ سيبثّ عبر التلفزيون ويُنشر في الصحف، لكلّ من شاء أن يستمع إليـــه طبعاً.. عليكم أن تقرّروا. اعلموا أن هذه الحركة المباركة الـــتي تســـتند إلى القـــيم، رهينـــة باندفاعكم، وهمّتكم، وشجاعتكم، وقدرتكم على التفكير وعزمكم الراسخ. فأنتم الذين يجب أن تكملوها.

الحمد لله على أن الثورة سارت حتّى الآن شوطاً حسناً، وكما ذكرت فإننا لم ننحرف عن أهدافنا ولم نحد عنها. والنكبات التي حلّت بتلك الثورات الكبرى لم تحصل لثورتنا، وكلّ الحوادث التي وقعت تجاوزتها الثورة، واستطاعت أن تحفظ ذاتها بمعاييرها الذاتية، واستطاعت إلى اليوم أن تتكامل. كما أن الثورة سارت بالبلد نحو الأمام ــ وهذا التقدّم الذي تشاهدونه اليوم في مختلف القطاعات ــ وهو ما أشرت إليه بإيجاز خلال كلمتي مع مسؤولي النظام قبل بضعة أيّام ــ لم يسبق أن شهده البلد قط على مدى القرون الأخيرة. وأمّا في الماضي وعلى امتداد التاريخ فقد كان هناك ما يشبه هذا تبعاً لأحوال الزّمان، بيد أن هذا التقدّم لم يكن له شبيه في ما سبق في القرون الأخيرة. أنتم الذين أوصلتم البلد إلى هذا التقدّم. والبلد يجب أن يتقدّم أكثر. فنحن لا زلنا في الخطوات الأولى، وفي بداية الطريق. وقد ذكرت أن إحدى الخواص الكبرى للثورة أنها صنعت نموذجاً. وأنتم تستطيعون مواصلة هذا الهدف وهو أن تبنوا نموذجاً للشعوب الإسلاميّة، توحون لها فيه بأنه يمكن العمل على هذه الشاكلة، ويمكن الوصول إلى الغاية عن هذا الطريق. وهذا شيء ممكن.

التنظيمات الطلابية لها دورها طبعاً. وأولى وصاياي إلى التنظيمات الطلابية التي تهتم بمجالات الشؤون الطلابية وشؤون البلد والثورة وكلّ شيء، هي أنكم حين تنظرون إلى الخندق المناهض؛ وأقصد بذلك خندق الاستكبار، والظلم، والرأسمالية الدولية الهائلة، والكارتلات، والتكتّلات، انظروا إليه وكأنّه خندق واحد. فهو خندق واحد متكاتف لمناهضة الثورة الإسلاميّة التي هي ثورة معنوية ودينية وثقافية واعتقادية. فإذا نظرتم إليه وكأنه خندق واحد مترابط ومتساند تتضح عند ذاك الكثير من ممارساتهم وتظهر على معناها الحقيقي. وهذه القضية هي التي تعيّن المهمّة التي ينبغي أن ينهض بها الطالب أو التنظيمات الطلابية.

فالاغتيالات التي تقع في البلد؛ من أمثال اغتيال الشهيد علي محمّدي، والشهيد شهرياري، والشهيد رضائي نجاد؛ يُنظر إليها تارة على أنها عمل إرهابي. وهذا يحزّ في النفس طبعاً حيث أن عدداً من علمائنا راحوا ضحيّة لأيدي الأعداء الأثيمة ــ بفعل عدد من الإرهابيين ــ وتارة أُخرى يُنظر إلى هذا العمل في سياق اصطفاف الخنادق، ويوضع هذا العمل ضمن إطار مجموعة الممارسات العدائية المناهضة للنظام الإسلامي. نذكر من ذلك على سبيل المثال في جبهة الحرب الحدودية مع العراق ــ حيث خضنا حرباً على مدى ثمان سنوات ــ لو أن مدفعية العدو وجّهت

نيرانها نحو موضع معيّن، فذلك لا يعني أن العدو يستهدف ذلك الموضع بعينه وعلى وجه الخصوص، وإنّما يعني أن العدو يقيم فعّالية معيّنة في هذا المكان وقد يكون الهدف منها التمْويه من أجل لفت الأنظار إلى ذلك الموضع، أو ما يطلق عليه اصطلاحاً اسم المشاغلة، التي تُعدّ في الحقيقة نوعاً من الخدعة، أو قد يكون ذلك العمل بدافع شلّ قدرات قوّاتنا لكي يتسنّى له القيام بهجوم شامل. وعندما ينظر إلى قضية الاغتيالات بهذا المنظار يتضح أن ما يرمي إليه العدو هو شلّ وإجهاض حركة التقدّم العلمي في البلد، وهذا يمثّل حلقة من حلقات التآمر المعادي. فهناك سلسلة من الحلقات المترابطة، منها مثلاً حلقات المقاطعة الاقتصادية، ونشر الرذيلة والتحلل، والتشجيع على تعاطي المخدّرات، والخروقات الأمنية، وزعزعة الأسس الاعتقادية؛ سواء الاعتقاد بالإسلام، أم الاعتقاد بالثورة. فهذه الحلقات المتنوّعة مترابطة في ما بينها. ومن هذه الحلقات ــ المكمّلة لهذه السلسلة ــ شلّ الحركة العلمية في البلاد عن طريق إثارة الذعر في نفوس علمائنا ومن خلال إقصائهم. ينبغي علينا أن ننظر إلى هذه القضية من هذا المنظار.

إذا نظرنا إلى الكتلة المعادية وكأنها خندق متساند قد قسّم الواجبات بين أعضائه، فعند ذاك يأخذ شعورنا بالمسؤولية إزاء كل قضية انطباعاً آخر. ففي قضية الاغتيالات هذه يبدو لي أن أفراد التنظيمات الطلابية قد عرض منهم قصور في هذه القضية، ولم يكن موقفهم بالمستوى المطلوب. وكان يفترض بهم تضخيم هذه القضية، ولا أقصد طبعاً المبالغة فيها، بل إن القضية بحد ذاتها ضخمة وكبيرة، أي ينبغي أن تعكسوها كما هي. فلم نشاهد أن تنظيماتنا أصدرت أو نشرت أو وزّعت ولو ملصقاً جدارياً لهؤلاء الشهداء، أو خلّدت ذكراهم. هذا الموضوع ينبغي أن لا يذهب أدراج النسيان، وهو ليس بالعمل الهيّن.

إن مسألة العلم في البلد تمثل من تلك السلسلة. وهذه الحلقة تصبّ في البؤرة الحيوية والجوهرية التي ما برحنا نتعاهدها بالرعاية منذ ما يقارب الاثنتي عشر سنة. قلنا: إن «العلم سلطان»؛ ومن يملك هذا العلم وهذا السلطان، وفقاً لما تفيده هذه الرواية «صال» يستطيع أن يصول به؛ أي يستطيع أن يحكم في النطاق العالمي؛ بمعنى أن يسير قدماً نحو تحقيق أهدافه. ومن لم يجد هذا العلم «صيل عليه»(4).. بمعنى أن الآخرين يتحكّمون عليه. وهذا هو منطقنا في هذه الحركة العلمية التي بدأناها منذ ما يقارب العشر سنوات أو الخمس عشرة سنة. ومما يدعو إلى الارتياح أن هذه

الحركة في البلد قد آتت ثمارها الآن إلى حدٍّ بعيد. ولكنهم يستهدفون إيقافها. وهذا ما يستدعي منكم أن تتعاملوا مع هذه الحالة بنوع من الحساسيّة.

إذن، ينبغي أن ننظر إلى العدو بمثل هذه النظرة: نظرة إلى الحركة الجبهوية للعدو. وعند ذاك تتضح دواعي دعمهم لبعض التيارات، وتهجّمهم على تيارات أُخرى، وتدخّلهم في بعض الشؤون الداخلية للبلد. وتُعرف الغاية الكامنة وراء ذلك. وهذا الواقع يستدعي منّا التحلّي بالوعي واليقظة إزاء ما يقومون به من أفعال.

من الأمور التي أودّ أن أوصي بها التنظيمات الطلابية على وجه الخصوص هو أن تقوموا على نحو فاعل بنشاطات فكرية وثقافية مبرمجة وهادفة وجذرية. فالعدو قد يُطلق في وقتٍ ما حملة شعواء على الجامعات علانية. حينها يجب أن يكون لكم تواجد علني هناك. مثلما حصل في أيّام فتنة عام 88 وما شاكل ذلك. وفي وقت آخر قد لا تأتي حملته علانية. وحينها ينبغي أن يكون تواجد الجماعات الطلابية تواجداً فكرياً جذرياً وعميقاً. عليكم أن تقوموا بعمل جذري وعميق حول المسائل الكلامية، وحول القضايا الأخلاقية، وحول مسائل التاريخ، وحول شؤون الثورة. وعليكم أن تعملوا حول مختلف شؤون البلاد، ومنها هذه القضايا التي تطرّق إليها الإخوان هنا. فمن المستحسن جداً أن تجروا بحثاً حول البنك المركزي، وحول النظام الصحّي، وحول قضية الجهاد الاقتصادي؛ ولكن لا ينبغي الاكتفاء بهذا الحدّ، إذ يجب القيام بعمل جذري حول المسائل الكلامية. ويجب القيام بنشاط حول الشؤون السياسية للبلاد بعيداً عن العواطف والمشاعر. إن العواطف والمشاعر شيء حسن وطاهر بالتأكيد، وأنا لا أعارض أبداً التعبير عن المشاعر ولا أُمانع من التحرّك العاطفي وخاصّة لدى الشباب، فمن غير الممكن ولا من المطلوب أن تنكمش المشاعر، ولكن من الضروري النظر والتفكير والتعمّق في الشؤون المختلفة ومنها الشؤون السياسية بعيداً عن مؤثّرات المشاعر.

ومن الأمور التي أُوصي بها بكل جدّ هو اجتناب التحلّل والتهتّك في النشاطات الثقافية والفنية. كونوا في هذا الجانب على حذر. وهناك أمثلة على ما أقول، ولكن هذه الأمثلة ليست في الوقت الحاضر وإنّما تعود إلى ما يقارب ثماني عشرة سنة مضت؛ إذ علمتُ حينها أن مجموعة من الطلبة في الجامعة كانت هناك فلتات من التحلّل في مراسيمهم. وقد أحطتهم علماً بذلك في ذلك الوقت ــ إذ أنهم لم يكونوا بعيدين عنّا ــ ولكنهم لم يلتفتوا، والتبعات التي أعقبت ذلك العمل لم

تكن تبعات حميدة. فلا بدّ أن يكون هناك حذر واحتراز صارم من التحلل الثقافي ومن التهتّك الأخلاقي، وأن يواجه بحزم. إنّ من السياسات التي يعتمدها العدو اليوم هي إشاعة الابتذال. وعليكم أن تحاربوا سياسة الاستكبار هذه. وهم مثلما يخططون للحصار الاقتصادي كذلك يخططون لإشاعة الابتذال، وهذا الكلام ليس من باب إطلاق الشعارات. وإنّما يتكون هذا الرأي لدينا من خلال مجموعة من المعطيات والمعلومات؛ فلدينا معلومات تفيد أنهم يضعون البرامج والمخططات ويقولون إنه لا بد من إشاعة الابتذال بين الشباب من أجل تحطيم مقاومة الجمهورية الإسلامية. أي إنهم يضفون على هذه القضايا طابعاً سياسياً. وهذا يتطلّب التصدّي له ومواجهته. ولا بد أن تكون المواجهة صحيحة بلا شك وهذا نوع من الصمود الكريم ضد مخططات الاستكبار.

الوصية الأُخرى هي أن تبدي التنظيمات الطلابية المزيد من التعاون والتنسيق الفكري والتكاتف فيما بينها. ولا أريد الآن أن أقترح عليكم شيئاً بعينه، وإنّما يبدو أن الضرورة تتطلّب وجود مجمع تنسيقي بين هذه التنظيمات من أجل أن تسير في اتجاه واحد. إنّ التوجهات العامّة متوازية تقريباً وجيّدة. ولا أريد القول إن هذه التنظيمات بما لها من خصوصيات يجب أن تضع كل خصوصيّاتها في سلّة واحدة؛ بل إن التنوّع والخصوصيات المختلفة في التنظيمات لا ضرر فيه، غاية ما في الأمر أنه لا بدّ من إيجاد نوع من التنسيق في الاتجاهات وفي السير نحو تحقيق أهداف الثورة، لكي يكون لكم تأثير في المناخ الطلاّبي. إن هذه التنظيمات يجب أن تكون قادرة على التأثير في الجو الطلاّبي. في الحقيقة إن الجو الطلابي جو جيّد، ولكن هذا لا يعني أن الجو الطلابي لا إشكال فيه، ولا انحراف، ولا خطأ، ولا زلل. وهل ثمة مكان يخلو من هذه السلبيات؟ فحتّى أكثر التشكيلات والأجواء قدسية لا بدّ أن يوجد فيها أو يشاهد فيها حالات من الزلل، ولكن الجو الطلابي على العموم جو حافل بالنشاط ومليء بالحركة. وعلى العموم يعتبر جواً دينياً وملتزماً بالمبادئ. وهذا مغنم لا يضاهيه مغنم. فهذا هو واقع أجوائنا الطلابية، وهذا ما ينبغي استثماره. يجب التأثير في هذا الجو، ويجب توجيهه في الاتجاه الصحيح.

وصيّتنا الأُخرى هي أن المسؤولين الجامعيين في البلاد وكذلك التنظيمات الطلابية، عليهم أن يسعوا ليكون بينهم تعاون ومسايرة. قد يتناهى إلى الأسماع أحياناً ما ينمّ عن انعدام مثل هذا التعاون، أو يدلّ على وجود تعارض. نعم، إن بعض الحوادث قد تحصل، حيث أشار أحد الإخوة

إلى القضية التي وقعت في بوشهر وما شاكل ذلك؛ ولكن يجب أن يكون هناك تعاون وتآزر؛ لأن الأهداف واحدة، وهي أهداف الثورة. إن المسؤولين يبذلون الكثير من الجهد والمشقّة، ويتصبّبون عرقاً ــ وهذا ما يراه الإنسان بأُمّ عينه ــ ويفكّرون؛ وهم يبذلون قصارى مساعيهم ويفكّرون على قدر ما تجود به أذهانهم. وهؤلاء الشباب في التنظيمات الطلابية كلهم أصحاب اندفاع ونشاط وصلاح. ويجب على هذه الكتل أن تتعاون فيما بينها.

أمّا فيما يخص العلوم الإنسانيّة التي أشير إليها، أود أن أُبيّن هذه المسألة وهي أن ما قلناه حول العلوم الإنسانيّة، وأُكرّر قولي هنا أيضاً، ومؤدّاه إننا يجب أن نجتهد في العلوم الإنسانيّة ولا نكون مقلّدين. ولو حذفت مثلاً بعض فروع العلوم الإنسانيّة من الجامعة أو لم تحذف، أو سلبت، فهذا لا رأي لي فيه ولا أرفضه ولا أؤيده؛ إذ إنه ليس من اختصاصي، وإنّما هو من اختصاص المسؤولين المعنيين. وقد يرون أن المصلحة تستدعي حذف بعض الفروع أو عدم حذفها. وأنا لا أتكلّم عن هذا، وإنّما كلامي هو إننا يجب أن نقوم بعملٍ جذري في حقل العلوم الإنسانيّة وعلى ذوي الفكر والاختصاص أن يمارسوا دورهم في هذه المجالات.

يبدو أن الوقت قد انتهى، وقد قلنا ما كُنّا نرى لزوم قوله. أسأل الباري تعالى أن يحفظكم بحفظه.

اللّهم إنّي أقسم عليك بأوليائك أن تنزل من فضلك وبركاتك على شبابنا. اللّهم ونسألك أن تقرّب أجواء الشباب في بلدنا يوماً بعد آخر نحو الأهداف والتطلّعات الإسلاميّة! اللّهم بحق محمّد وآل محمّد حقّق لهؤلاء الشباب أمانيهم وتطلّعاتهم، ومُنَّ على كلّ مسؤولي البلاد وعلينا بالتوفيق حتّى نتمكّن من السير خطوات واسعة على طريق تحقيق هذه الأهداف. اللّهم أر شبابنا الأعزّاء رأي العين قيام أُمّة إسلاميّة واحدة وبلد إسلامي واحد بكلّ معنى الكلمة. اللهم واغمر الأرواح الطيبة لشهدائنا الأبرار، والروح الطاهرة لإمامنا الخميني الراحل، بالرضا عنا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

1 – وسائل الشيعة، ج: 27، ص: 27.

2 – سورة الرعد، الآية: 18.

3 – سورة فصلت، الآية: .30

4 – شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج: 20، ص: 319.